مختصر عن

الجانب اللغوي عند الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"

تأليف الشيخ

مثنى علوان الزيدي

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز حاجي

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

إهداء

قال المؤلف علي محمد الزبيري في كتابه ابن جزي ومنهجه في التفسير:

((قد لاحظت أن بعض علماء الأندلس قد لحقهم شيء من الحيف أو لم يجدوا ممن جاء بعدهم العناية الكافية بتراثهم، فهذا بقي بن مخلد الذي يفوق مسنده مسند الإمام أحمد كماً ونوعاً ويفضل مصنفه على مصنف أبي شيبة وعبد الرزاق، وتفسيره على تفسير الطبري لا نكاد نعرف عنه شيئاً)).

لذلك ...

أهدي لعلماء الأندلس جميعاً

ثواب بحثي هذا

راجياً من الله القبول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المتهد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فقد جعل الله تعالى كتابه معجزة رسول العظمى والحجة الدائمة على الخلق ونبراساً للدعاة إلى يوم الدين يستمدون من نبعه الثَّر الهدايات ويقتبسون من نوره مشاعل الحضارة ويجدون في ثناياه البراهين السواطع كلما تراكمت ظلال الشبهات وفي إرشاداته برد اليقين كلما حاكته الوساوس في الصدود.

وعندما حمل القرآن الكريم كل هذه الصفات والمعاني التجأ المسلمون لدراسته وتعلمه واعتنى العلماء بتفسيره وبيانه واستدرار كنوزه فغاصوا في آياته عمقاً وتحليلاً واستنباطاً للوصول إلى المقصد الأسمى في كل آية من آياته والغاية النبلى في كل كلمة من كلماته فبذلوا نفوسهم وأوقاهم من أجل خدمته كيف لا وهو القرآن ذلك الدستور الرباني كلام الله الذي أنزله على رسوله النبي محمد ﷺ.

ومن هؤلاء العلماء الأجّلاء الأفذاذ والمفسرين الإمام أبو عبد الله القرطبي (رحمه الله تعالى) الذي نذر نفسه ووقته لخدمة دين الله من خلال مؤلفاته وأبرزها تفسيره الذي سماه "الجامع لأحكام القرآن" وكان بحقٍ جامع.

فقد جمع فيه العقيدة والفقه والبلاغة بالإضافة إلى جوانب اللغوية.

ولذلك وجدت أن تفسيره حفي بالقبول لكل من طالعه ولو بعجالة ومع كل هذا فقد تجنب روح التعصب وخلا منها تفسيره، حتى في الرد على المخالفين كان ديدنه فيه الالتزام بالخلق القرآني والفضائل السامية.

ومن هنا فقد عقدت هذه الدراسة المتواضعة عن الجانب اللغوي في تفسيره، ولا بد من الإشارة إلا أن الدراسة اللغوية تتجلى فيما يلي:

أولاً: إنَّ هذا الكتاب قد لقي القبول في ملء البقاع شرقها وغربها وصار مرجعاً أصيلاً للعالم المنتهي، فدراسة جانب من جوانبه كالجانب اللغوي مثلاً يزيد من قبوله إضافة لتسهيله وفهمه إن شاء الله وخاصة من توضيح ما أشكل عل العامة من مبهمات في بعض الألفاظ اللغوية.

ثانياً: أَحببت الاستفادة من خدمة هذا التراث الكبير وفهم مقصد العلماء في جانب من جوانب تفاسيرهم وكتبتهم والارتقاء بمستواي العلمي،

ثالثاً: اللغة آلة من آلات البحث والقرآن الكريم كتاب عربي مبين ضم في ما ضم بين دفتيه أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وفهمها مرتبط باللغة لأنه ألفاظ وتراكيب وكل منها بحاجة إلى توضيح وبيان فأحببت التعرف إلى كيفية فهم العلماء لنصوص هذا القرآن الخالد من خلال هذه اللغة الأصلية.

تلك هي من أهم الأسباب التي دفعتني لهذه الدراسة.

ولا بد من الإشارة إلى أن الذين كتبوا عن القرطبي ومنهجه كُثُر وقد وقفت على كتبهم وأبرزها:

١- القرطبي ومنهجه في التفسير، للدكتور القصبي محمود زلط، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه في الأزهر الشريف.

٢- القرطبي ومنهجه في التفسير، للدكتور مفتاح سنوسي بلْعم، وأصله رسالة ماجستير وهو غير منشور.

٣- القرطبي أبو عبد الله وجهوده في علم النحو واللغة، للدكتور عبد القادر رحيم جدي الهيتي.

٤- الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، المشهور حسن محمود سلمان.

ولكنَّ هذه الكتب لم تستوعب كل الجانب اللغوي في تفسير الإمام القرطبي (رحمه الله) وهذا الأمر يعتمد على أسباب كثيرة لا سيما المنهج الذي اتبعه من كتب في هذا الجانب إضافة إلى الأسباب الخاصة والظروف التي أحاطت بكل كاتب ومؤلف من هؤلاء جميعهم أو بعضهم جزاهم الله خيراً.

وبعد التوكل على الله جل وعلا. بدأت بكتابة هذا البحث المتواضع مبنياً علـــى تمهيـــد، وأربعة مباحث، وخاتمة بعد أن قدمت له بهذه **المقدمة** الموجزة التي بينت فيها ســـبب اختيـــاري الموضوع ومنهجه ومصادره.

وقد تحدثت في **التمهيد** عن العلاقة بين التفسير وعلم اللغة فوضحت بإيجاز مقدار اهتمام أهل التفسير باللغة وقد بينت التفاسير التي أعتنت بهذا الجانب والتي سبقت القرطبي، ثم مقـــدار اهتمام أهل العربية بدراسة القرآن الكريم من حيث معانيه وإعرابه وشرح غريبـــه والاســـتدلال لقراءاته مع ذكر بعض من هذه المؤلفات التي اختصت بدراسة القرآن دراسة لغوية.

أما المبحث الأول: فقد تكلمت فيه (بعد أن قسمته إلى ثلاثة مطالب) عن عصر الإمـــام القرطبي وبيئته، الناحية السياسية في حياته سواءً في الأندلس بلده الذي ولد فيه أو في مصر البلد الذي توفي فيه وكذلك النواحي الأخرى كالناحية الاجتماعية والعلمية.

وأما المبحث الثاني: فقد كان الكلام فيه (بعد تقسيمه كذلك لمطالب ثلاثة) عن حيـــاة الإمام القرطبي والتي بدأها باسمه وأهميتها بتلاميذه رحمه الله.

وأما المبحث الثالث: فقد تكلمت فيه (بعد أن احتوى على مطلبين) على مكانة الإمـــام وآثاره العلمية ثم وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى رحمه الله تعالى.

ثم المبحث الرابع والأخير: حيث تكلمت فيه (بعد أن ضمَّ ستة مطالب) عن الجانـــب اللغوي من تفسير القرطبي.

فبينت بهذا المبحث المصادر اللغوية التي اعتمد عليها القرطبي في تفسيره، وذكـــره تلـــك المسائل اللغوية التي قرنها بالقراءات القرآنية، وكيف اعتمد على المسائل اللغوية في بيان الأحكام الشرعية، ثم استشهاده الشعر العربي الفصيح الذي يزيد من تأييد تفسيره وتوضيح المعنى القـــرآني للقارئ لا سيما العربي الأصيل الذي لا يتردد عن فهم المعنى المتداخل في ثنايا العربية الفصيحة.

ثم تكلمت في هذا المبحث عن دلالة الألفاظ عند الإمام القرطبي ومنها المشترك اللفظي، الأضداد، المترادفات، الحقيقة والمجاز.

مع تركي وإهمالي لبعض الألفاظ الغير أساسية تجنباً الطويل ولا بـــد مـــن الإشـــارة إلى اكتفائي عن توضيح ذلك بمثالين أو ثلاثة وفي بعض الأحيان اقتصاري على مثال واحد اعتقدت أنه يكفي من توضيح المعنى.

ثم أعقبت كلامي عن الألفاظ اللغوية الغير دلالية والتي شملت لغات العرب والاشـــتقاق والنحت والتعريب وكلها ألفاظ غير دلالية.

وبينت أن لغات العرب اشتملت على ظواهر عديدة مختلفة منها ظاهرة اختلاف اللغـــة والاختلاف في دلالة الألفاظ ثم الاختلاف في الحركات وفي إبدال الحروف وفي عددها.

ثم بين كيف أنَّ القرطبي (رحمه الله) رجَّح بعض لغات العرب على البعض الآخر بأمثلـــة توضيحية تبين ذلك.

وأخيراً أشرت من التعريب إلى أمرين مهمين وهما:

موقف القرطبي من ورود المعرب في القرآن الكريم ثم موقف العلماء من ذلـــك بعـــرض الأقوال البعض منهم.

وأحب أن أوضح أن المصادر التي أعانتني في بحثي كثيرة وفي مقدمتها كتـــاب "الجـــامع لأحكام القرآن" وتأتي بعده كتب أخرى مثل المزهر في علوم اللغة والعين والمعاني القرآن للغـــراء وأحكام القرآن للجصاص وإعراب القرآن للنحاس وأبي عبد الله القرطبي وجهوده في علمي اللغة والنحو والقرطبي ومنهجه في التفسير وكثير من الكتب الأخرى مثل الأضداد في كلام العـــرب والأضداد في اللغة والمفردات في غريب القرآن والصحاح والمعرب والأضداد في اللغة والمفردات في غريب القرآن والصحاح والمعرب وهذه الأخيرة اعتنت بجانب بحثي ومادته عنايـــة مباشـــرة فاستفدت منها في كثير من الأمثلة التي عرضتها عند توضيح مسألة من المسائل اللغوية في تفسير الإمام القرطبي رحمه الله.

ثم أنهيت بحثي بخاتمة تكلمت فيها عن أهم نتائج البحث وفوائد الرحلة وما هي التوصيات والأفكار التي نشأت من خلال هذه الدراسة.

في ختام هذه المقدمة لا بد من الإشارة إلى أن العجز سمة من سمات الإنسان فما كان من خير فهو من فضل وتوفيق الله وما كان من تقصير وعجز فمن نفسي والشيطان ولا حول لي ولا قوة إلا بالله.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والامتنان لفضيلة أستاذي الدكتور عبد العزيز حـــاجي على سعة صدره ولمساعدته إياي بالمعلومات والنصائح والإرشادات التي أعانتني في كتابة هـــذا البحث وإخراجه بحثاً علمياً وفق المنهج الأكاديمي.

فجزاه الله عني وعن أخوتي طلبة العلم خير الجزاء وجعلني من السائرين على دربه أنه سميع مجيب.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم أنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد الله رب العالمين

مثنى الزيدي

بتاريخ ١٢/ربيع الأول/١٤٢٩هـ

٢٠/٣/٢٠٠٨م الأربعاء

"التمهيد"

العلاقة بين التفسير وعلم اللغة

يمثل الاتجاه اللغوي أساساً قوياً من الأسس التي بنى عليها الإمام القرطبي منهجه في التفسير واعتمد عليها اعتماداً واضحاً في تناوله لكتاب الله العزيز الذي نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

ووصفه منزله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٨].

والدليل على هذا واضح في اهتمام القرطبي بالجانب اللغوي ومفردات القرآن.

هذا وقد ذكر العلماء أن هذا العلم ضروري للمفسر أو هي في الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يقدم على تفسير القرآن الكريم كما في البحر المحيط(١) وروح المعاني(٢).

ومن قبله مجاهد(٣) ((لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)) (٤).

والحقيقة أن عدم التضلع في علوم اللغة العربية أفراداً وتراكيباً إعراباً واشتقاقاً يؤدي إلى الوقوع في الخطأ وإلى تحريف الكلم عن مواضعه.

ولينظر إلى بعض الأخطاء التي وقعت لجماعة من كبار العلماء بسبب عدم تمنعهم في معنى اللفظية(٥).

لهذا نرى اهتمام المفسرين في هذا العلم فاتخذوا منه أداة لتوضيح الآيات بل جعلوه من آلات صناعتهم.

فنشأت عندها العلاقة بين علم اللغة وعلم تفسير القرآن الكريم للوصول إلى المقصد الأسمى في كل آية من آياته والغاية النبلى فأصبحت علاقة واجبة ومتلازمة.

---

(١) ينظر البحر المحيط (٦/١).

(٢) ينظر روح المعاني (٥/١).

(٣) الإمام مجاهد بن جبر المكي مولى السائب المخزومي، ت (١٠٢هـ) روى عن ابن عباس وأبي هريرة وسيدتنا عائشة وآخرين (رضي الله عنهم) قال عنه قتادة: اعلم ما بقي بالتفسير. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤).

(٤) ينظر البرهان في علوم القرآن (٢٩٢/١).

(٥) ينظر المصدر السابق (٢٩٤/١ - ٢٩٥) و (٢٩٨/١ - ٢٩٩).

ومن التفاسير التي سبقت القرطبي في اعتنائها بهذا الجانب هي:

١- تفسير ابن عباس[١].

٢- تفسير مجاهد[٢].

٣- تفسير مقابل[٣].

٤- جامع البيان في تأويل آي القرآن[٤].

٥- الكشاف[٥].

٦- المحرر الوجيز[٦].

وهذا دليل كبير على مقدار اهتمام أهل العربية بدراسة القرآن الكريم دراسة لغوية من جميع جوانبها.

وهذا الاهتمام الكبير الواضح من هؤلاء المفسرين أحدَّ المكتبة والتراث الإسلامي بمزيد من المؤلفات التي اعتنت بالجانب اللغوي لهذا الكتاب العظيم.

ولا بد الإشارة التي بعض المؤلفات التي أَعتنت بهذا الجانب حصراً وهي:

١- معاني القرآن: للفراء[٧].

٢- مجاز القرآن: لأبي عبيدة[٨].

٣- معاني القرآن: للأخفش[٩].

---

(١) الإمام الحافظ المفسر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابي الجليل ابن عم رسول الله ﷺ ت (٦٨هـ) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي بقوله (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٣١).

(٢) سبقت ترجمته (ص).

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، من أعلام المفسرين، توفي سنة (١٥٠هـ) ينظر: وفيات الأعيان (٢/١٢).

(٤) للإمام الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠هـ).

(٥) للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨هـ).

(٦) للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي.

(٧) الإمام يحيى بن زياد عبد الله أبو زكريا المعروف بالفراء إمام الكوفة في النحو، ت (٢٠٧هـ). ينظر: بغية الوعاة (٢/٣٣٣).

(٨) الإمام معمر بن المثنى التيمي، من أعلام اللغة، ت (٢١٠هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين (ص١٩٢).

(٩) سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط، أحذق أصحاب سيبويه، ت (٢١٥هـ) ينظر: طبقات النحويين واللغويين (ص ٧٤).

٤- معاني القرآن وإعرابه: للزجاج[1].

٥- معاني القرآن: للنحاس[2].

هذه إبراز المؤلفات التي اعتنت بالجوانب اللغوية، والتي منها ما سبقت عصر القرطبي ومنها ما كانت قريبة في عصره.

وبعد أن علمنا حقيقة العلاقة بين التفسير وعلم اللغة سنرى في بحثنا ما هو مقدار اعتناء الإمام القرطبي رحمه الله بالجانب اللغوي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

---

(١) إبراهيم بن السري الزجاج، من كبار النحاة، توفي (٣١٥هـ). ينظر طبقات النحويين واللغويين (١٢١).

(٢) أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس النحوي المصري، أخذ عن المبرد والزجاج، ت (٣٣٨). ينظر: (طبقات النحويين واللغويين) (ص ٢٣٩).

المبحث الأول

عصر القرطبي وبيئته

المطلب الأول: الناحية السياسية

أولاً: الناحية السياسية في الأندلس

ثانياً: الناحية السياسية في مصر

المطلب الثاني: الناحية الاجتماعية

أولاً: الناحية الاجتماعية في الأندلس

ثانياً: الناحية الاجتماعية في مصر

المطلب الثالث: الناحية العلمية

أولاً: الناحية العلمية في الأندلس

ثانياً: الناحية العلمية في مصر

المبحث الأول

عصر القرطبي وبيئته

المطلب الأول: الناحية السياسية

أولاً: الناحية السياسية في الأندلس:

عاش الإمام القرطبي (رحمه الله) زمن الدولة الموحدية، وهذه الدولة كانت قد تأسست بعد سقوط دولة المرابطين التي تم إنهيارها سنة (٥٢٠هـ) وكان مؤسس دولة الموحدين هو محمد محمد بن عبد الله بن تومرت[١]، حيث كان يميل إلى التعصب الفقهي، وكان داعية، فقد جعل من الإمامة الدينية أساساً قامت عليه الدولة، فقد كانت هذه الإمامة مصدراً للسلطات الدينية والسياسية، غير أن الأمر اختلف بعد وفاته، حيث تحولت الخلافة إلى ملك سياسي محض وإن كان قد حوفظ معه على رسوم الإمامة الدينية التي أسست عليها الدولة.

وامتازت الدولة الموحدية بالقوة العسكرية حتى بلغت في ذلك مبلغاً عظيماً لم تبلغه الأندلس من قبل، لا سيما ما امتازت به الجيوش الموحدية من تفوق في فنون الحصار، وقدرة هائلة على إقتحام المدن المنيعة بالآلات الفتاكة[٢].

وتولى الخلافة بعد وفاة ابن تومرت عبد المؤمن بن علي[٣] فسيطر على الأندلس في سنة (٥٥٦هـ) وبعد سنتين أرسل جيشاً فنزل بإشبيلية[٤] التي اتخذها الموحدون حاضرة لهم في

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، البربري، يدعى بالمهدي، (٤٨٥ - ٥٢٤) هـ، ابتدأ بتأسيس الدولة الموحدية عام (٥١٤) هـ، قام، بنشر الدعوة وتعاليم التوحيد، نقل عنه أنه ادعى العصمة لنفسه، انتشر صيته بين القبائل، وبايعته كثير من قبائل المغرب الأقصى. ينظر (الأعلام) (٦/٢٢٨).

(٢) ينظر (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، (١/٢٦) و (٢/٦١٥ وما بعدها).

(٣) عبد المؤمن بن علي القيسي يلقب بأمير المؤمنين، استخلفه يوسف بن تومرت بعد وفاته عام (٥٠٠هـ)، كانت له وقائع كثيرة مع المرابطين، كان متشدداً في تطبيق الشريعة الإسلامية، فكان يأمر بقتل من ترك الصلاة ثلاثاً، توفي سنة (٥٥٨هـ) ينظر (سير أعلام النبلاء) (٢٠/٣٦٦) و (الأعلام) (٤/١٧٠).

(٤) مدينة أندلسية، قريبة من البحر، تطل عليها الجبال. ينظر (معجم البلدان) (١/١٩٥).

الأندلس فبسط نفوذ الموحدين على مدنها فأعلن رؤسائها مبايعتهم لعبد المؤمن والدخول في طاعته وتحت أمره[١].

وفي سنة (٥٤٩هـ) تغلبوا على غرناطة[٢] وفي سنة (٥٥٥هـ) عبروا إلى الأندلس ونزلوا في جبل طارق وتحصنوا به وسموه بجبل الفتح وأقاموا به شهرين وبايعه شيوخ الأندلس، وبعدها أمر عبد المؤمن يغزو غرب الأندلس فاستولى على باحة[٣] وغيرها من المدن[٤].

وفي سنة (٥٩١) هـ اتجه الخلفية يعقوب المنصور بحشوده إلى الجزيرة الخضراء فالتقى المسلمون بعد وهم فأنزل الله على الموحدين نصره وصبره[٥].

فكان لها أثر عظيم لتقوية نفوس المسلمين واستطاعوا قتل عدد كبير من أعدائهم الاوغنش وأنه كان قد استشهد جماعة من أعيان الموحدين[٦].

وقد قال القصبي زلط عن هذه المعركة: (اشتبك الموحدون مع ملوك ليون والبرتغال وقشتالة لأنها كانت تجاور الأندلس وكان ملوكها يحاولون انتقاص أراضي الدولة الموحدية في أطرافها ومن أشهر المعارك التي دارت بين الموحدين والنصارى معركة الأرك ... وكان النصر فيها للمسلمين) [٧].

---

(١) بنظر (المعجب) ص ٢١٠.

(٢) أقدم مدن الأندلس، وأشهرها، يسشقها نهر معروف بنهر القلزم. ينظر، معجم البلدان (١٩٥/٤)، ومراصد الإطلاع (٩٩٠/٢) .

(٣) مدينة أندلسية، بناها الأقاصرة، وينتسب إليها أبو الوليد الباجي - بنظر، معجم البلدان (٣١٥/١).

(٤) ينظر (تاريخ المغرب الكبير)، (٧٩٢/٢) وقصة العرب (ص١٧٧).

(٥) ينظر (عصر المرابطين والموحدين) (١٩٦/٢ وما بعدها) والمعجب (ص٢٨٢).

(٦) انظر التاريخ الأندلسي (ص٤٨٣) وعصر المرابطين (١٩٦/٢ وما بعدها).

(٧) انظر القرطبي ومنهجه في التفسير (ص١٠٦).

وفي سنة (٦٠٩هـ) تجهز الخليفة أبو عبد الله الملقب بـ (الناصر لدين الله)[١] فعبر إلى الأندلس بسبب نقض النصارى للهدنة والتقى الجيشان عند حض العقاب[٢] ولكن الدائرة التي كانت هنا على المسلمين وانهزموا بها فكانت أحد أسباب انهيار الدولة الموحدوية[٣].

وكان آخر أمراء الدولة الموحدية أبو يعقوب (المستنصر بالله)[٤] حيث ظهرت في عهده الفتن وخرجوا عليه من جميع أنحاء البلاد واستولى النصارى على العاقل التي أخذها المسلمون وهزمت حامية الأندلس من كل جهة[٥].

وبعد أيام قلائل سقطت قرطبة[٦] فقد قدم الملك القشتالي بنفسه في جيشٍ كبير واستبسل أهلها في الذود عنها لكن الأمر أشتد بتضييق فرناندو عليهم ففاوضوه وسلموها وسقطت قرطبة بذلك في سنة (٦٣٣هـ)[٧].

وقد عبّر القرطبي عن هذه المأساة فقال: (لقد لبسنا العدو في ديارنا واستولى على أنفسنا وأموالنا مع الفتنة المستولية علينا، بقتل بعضنا بعضاً واستباحة بعضنا أموال بعض ...)[٨].

ثم قال: (ولجهلنا وغلبة شهواتنا علينا وظفر العدو اللعين بنا صرنا أحقر من الفِراش وأذّل من الفَراش ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[٩].

ثم يقول في موضعٍ آخر: (كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد وأي بلاد!! وأسر وقتل وسبي واسترق...)[١٠].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالناصر لدين الله، انهارت على يده الدولة الموحدية، قائد معركة العقاب، واختلف بسبب وفاته قيل مات مسموماً وقيل مات هماً وغماً من وقعة المسلمين وانهزامهم في معركة العقاب توفي سنة (٦١٠هـ) . انظر الأعلام (١٤٥/٧).

(٢) مكان بالأندلس دارت فيه معركة سميت به. انظر الروض المعطار (ص٤١٦).

(٣) انظر المعجب (ص٣٢١).

(٤) أبو يعقوب يوسف بن محمد الملقب بالمستنصر بالله، تولى الخلافة وعمره ١٦ سنة توفي سنة (٦٢٠هـ) انظر الأعلام (٢٤٨/٨).

(٥) الاستقصاء (٢٠٢/٢).

(٦) أكبر مدن الأندلس، قاعدتها، ذات أسوار من الحجارة الكبيرة، انظر معجم البلدان (٣٢٤/٤).

(٧) انظر: قرطبة حاظرة الخلافة في الأندلس (١٥٣/١).

(٨) انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٩-١٠) ط دار الكتب المصرية.

(٩) ينظر المصدر السابق (١٢٢/١٤).

(١٠) ينظر المرجع نفسه (٣٩/٣).

ثانياً: الناحية السياسية في مصر

وفي عهد الأيوبيين سافر القرطبي "رحمه الله" إلى مصر وكانت الأحوال فيها لا تختلف كثيراً عن الأوضاع التي تركها في الأندلس وبالأخص الأوضاع السياسية بسبب كثرة الحروب التي شنها الصليبيون على مصر والشام والعراق. فقد كانت مصر عند وصوله لها تحت الحكم الأيوبي التي أسسه القائد صلاح الدين الأيوبي[1] حيث كان قد حمل راية الجهاد ضد الصليبيين ففتح الكثير من البلدان الصليبية وحرر الكثير من الأراضي التي أقتطعها الصليبيون من المسلمين وهكذا تابع الملوك والرؤساء من الدولة الأيوبية الحملات ضد الصليبيين بعد وفاة صلاح الدين وخاصة في الشام ومصر.

ولكن الخلاف نشب وظهر بعد وفاة صلاح الدين وسببه التنازع على الحكم فقد كان الخلاف يهز البلاد هزاً عنيفاً ووثب أبناءه بعضهم على بعض.

ولما ابتدأت دولة المماليك ازداد الخلاف والتنافس على الحكم[2].

حيث كانت مصر بعد سنة (٦٤٨هـ) تحت حكم المماليك، وكان الوضع الداخلي سيئاً بسبب الفتن الداخلية والتنازع على الملك والسلطة، لكنهم واجهوا التتار فإنهم لما عاثوا فساداً في الأرض وفعلوا ما فعلوا في العراق والشام اتجهوا لمصر لكن الله ردهم خائبين بسبب موقف المماليك في وجوههم[3].

ويصف لنا أبو زهرة ذلك فيقول: (إن الحكم في هذه الدولة بلا ريب حكماً مطلقاً، والحاكم فيه مستبد لا يصل إلى الحكم إلا بقوته ... لكن سرعان ما ينقض عليه قريب أو قائد من قواده ليأخذ منه الكم بالطريقة التي أخذه أبوه أو جده ... فإذا كان عدو غالب من التتار أو غيرها اختفى النزاع في بعض الأحوال أو سكن وإن كان أمن من الخارج ظهر النزاع قوياً غلاباً، وقد يستعين بعضهم بعدو للفريقين في سبيل الاستكمال من خصمه لينال منه مأرباً)[4].

---

(١) أبو المظفر صلاح الدين بن يوسف بن أيوب الأيوبي، (٥٣٢ - ٥٨٩هـ)، يلقب بالملك الناصر، من أشهر ملك الإسلام، كردي الأصل، من العراق، تفقه وتعلم الحديث، فتح الله على يديه كثير مما احتلته الروم، من أشهر مواقعه "معركة حطين" التي انتصر فيها على الفرنج وكذلك فتح القدس سنة ٥٨٣. ينظر (الأعلام) (٢٢٠/٨).

(٢) القرطبي (ص١١٧).

(٣) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي (٢١٤/٥ - ٢٤٥).

(٤) ابن تيمية، للشيخ أبي زهرة (ص ١٤١).

المطلب الثاني: الناحية الاجتماعية

أولاً: الناحية الاجتماعية في الأندلس

لم تكن الأندلس تضم عرقاً واحداً يدينون بدين واحد، فقد كان سكانها ينتمون إلى ثلاثة أديان أساسية، المسلمون والنصارى واليهود، وينتمون عرقياً إلى عرب وبربر، والبربر كانوا خليطاً من جنسيات فمنهم الآسيويون ومنهم الأوربيون ومنهم الأفارقة، وأما المغرب فإن البربر هم السكان الأصليون فيها.

وكانت لغتهم البربرية هي السائدة، وكان الموالي الداخلون في ولاية بني أُمية أكثرهم من المغرب بل لهم الدور الكبير في تأسيس دولة بني أُمية في الأندلس، وكذلك كان هناك بعض من أسلم من الإسبان ويسمونهم "المسالمة" وأيضاً هناك من تزوج من المسلمين بالإسبانيات فكان الجيل الذي نشأ منهم يسمى "بالمولدِّون"[1] وقد اعتنى أهل الأندلس بالكسب والمال، سواء في الزراعة أو في الرعي أو مما كان متوفراً لديهم آنذاك، وكانوا يعدّون البطالة من جملة العار الذي يعاب عليه فاعله، حيث يقول صاحب النفح عن ذلك: (... والذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالة على الناس لأن هذا عندهم في غاية القبح)[2]. وكانوا يحبون النظافة، ولا يرتدون العمائم والطليسان، بسبب تأثرهم بالنصارى حتى أن البعض من علمائهم كانوا حاسروا الرأس عند الخروج من بيوتهم وقصورهم[3].

ثانياً: الناحية الاجتماعية في مصر

كانت الحياة الاجتماعية في مصر على عهد الأيوبيين والمماليك متكونة من أربع طبقات: وهي:

أ- طبقة السلاطين والأُمراء: وهذه الطبقة هي أعلى طبقات المجتمع، كانت تعيش في ترفٍ وغنى، بعيدة عن المآسي والأحزان، وكان ذلك كله على حسان الشعب الذي عاش حياة فقر وتعب، وتميزت هذه الطبقة بلباس وأزياء خاصة بها وكانت تسكن القاهرة[4].

---

(١) انظر: (تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس) (ص١١٩).

(٢) انظر: نفح الطيب (١/ ٢١١).

(٣) المصدر السابق (١/٢١٢- ٢١٣).

(٤) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، (٥/٢٧٠).

ب- طبقة العلماء والفقهاء والقضاة والكتّاب: وهؤلاء قد حضوا بسماع السلاطين لهم وكانت كلمتهم مسموعة لدى المجتمع، وكان العلماء لا يسكتون على المنكر حتى لو صدر من الملوك، فكان السلاطين يخشون العلماء على عكس المعتاد، فكان أهل العلم ينصحون الأمراء يعصونهم، يأومرهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر إذا صدر منهم ذلك، وكانوا شجعان لا يخافون في الله لومة لائم(1).

جـ- طبقة التجار والصنّاع: وهؤلاء كانوا متوسطي الحال فلم يكونوا كالعلماء ولا هم دون الفلاحين، بل كان السلطانين يقدروهم، لأنهم كانوا يمدوهم بالمال وخاصة وقت الشدائد والمحن.

د- طبقة الفلاحين والعمّال: وهذه الطبقة هي أفقر أفراد المجتمع فلم يكن لديهم اهتمام من قبل السلاطين أو الأمراء، وكانوا ينالون القليل مما يخرج من الأرض، وكانوا لا يملكون حق ترك العمل ومن ترك العمل يعرض نفسه للعقاب ويعاد إلى عمله(2).

---

(1) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، (٥/٢٦٨).

(2) انظر المرجع السابق، (٥/٢٦٨).

المطلب الثالث: الناحية العلمية

أولاً: الحركة العلمية في الأندلس:

في الفترة التي عاش فيها القرطبي في الأندلس، كانت الحركة العلمية آنذاك نشطة مزدهرة، ولعل من أهم الأسباب لذلك هوان ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كان من علماء عصره الكبار، ففسح المجال للعلم والعلماء والحض على التعلم ويشهد له في ذلك قوله لاتباعه في كتاب ألفه لهم: (أعزُ ما يطلب وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل، العلم، الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعز المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال) [1].

ولذلك ازدهرت الحركة العلمية، واقتدى به من بعده من الخلفاء والأمراء وكانت لهم المساهمة والقدم الراسخة في العلم والأدب[2].

ومما ساعد على نمو الحركة العلمية هذه، كثرة الكتب والمؤلفات، وقد كان البعض من ملوك الأندلس كما جاء في "نفح الطيب": (يستجلبون المصنفات من الأقاليم والنواحي، باذلين فيها ما أمكن من الأموال، حتى ضاقت عنها خزائنهم وكانوا ذو غرام بها) [3].

بل كان الأمراء والملوك يحبون العلم لدرجة أن أحدهم يبحث عن العلماء ليجمع العلوم مما لم يجمعه غيره ويفوق من كان قبله من الحكام في ذلك[4].

ومما زاد الأندلس إرتقاءاً في العلم، هو ما كان عليه أهل قرطبة من محبة للعلم والمعرفة فكان ذلك متأصلاً في هوايتهم لذلك تعددت الهيئات العلمية لديهم وظهرت المؤلفات والعلوم في ربوع الأندلس، ونبغ علماء كثر في علوم شتى فنجد النهضة في علوم الفقه والحديث والتفسير، وكذلك الأمر في علوم اللغة من نحو وبلاغة وأدب وشعر وحتى التاريخ[5].

---

(١) انظر: (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس) (ص ٦٤٥).

(٢) انظر (المعجب) ، (ص ٣٥٦).

(٣) نفح الطيب (١/١٨٠ – ١٨٤).

(٤) المعجب (ص ٣١١).

(٥) انظر نفح الطيب (١/٢١٥) وقرطبة في التاريخ الإسلامي (ص ٩٦).

وأما المكان الذي كانت تغص وتعلم فيه العلوم هو المسجد أو الجامع حيث كان العلماء يلقون دروسهم فيها فلم يكن (لأهل الأندلس مدراس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون جميع العلوم في المسجد) (١).

أما المسيرة التعليمية فكانت تمر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: هي ما قبل البلوغ، وفيها تعليم الأطفال بعيداً عن المسجد في البيوت، أو في المكاتب الملحقة بالمساجد، وذلك كي لا ينجس الأطفال المساجد، وفي هذه المرحلة يتعلمون الكتابة مع حفظ القرآن الكريم وبعض علوم اللغة، كالنحو والشعر وغيرهما(٢).

المرحلة الثانية: هي مرحلة ما بعد البلوغ، وفيها ينتقل المتعلم إلى حلقات التأديب وذلك لتلقي العلوم بشكل أوسع مما كان عليه من قبل، فيتعلمون التفسير والحديث والفقه واللغة العربية وبعض العلوم العقلية، ثم تبدأ مرحلة التخصص، فيهتم ويميل لعلم واحد من تلك العلوم، فإن نبغ فيه عيَّن مدرساً ويبقى أثناء التدريس يطلب العلم فيكون شيخاً في حلقة وطالباً في أخرى(٣).

ثانياً: الحركة العلمية في مصر

فكما أسفلنا أنَّ الإمام القرطبي "رحمه الله" سافر إلى مصر، فكانت الحركة العلمية فيها مزدهرة ولا سيما في عهد الأيوبيين والمماليك وأبواب العلم مفتحة وأن من أهم أسباب هذه النهضة العليمة هي:

أ- اجتماع علماء المشرق والمغرب في مصر، وذلك بسبب الفتك المغولي بالمشرق والذي أدى إلى هجرة العلماء وغيرهم إلى مصر لانتشار الأمن فيها وأما المغرب فقد هجرها العلماء فراراً من بطش النصارى أثر سقوط كثير من بلاد الأندلس في أيديهم فكانت مصر مجمعاً للعلم والعلماء.

ب- انتشار المدارس والمساجد وبنائها، فقد كان للمدارس أوقاف تنفق على طلابها الدارسين فيها وهذا الفضل يرجع بعد فضل الله للقائد صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) فقد جاء من ترجمته أنه: (رتب هذه الأوقاف العظيمة وليس فيها شيء منسوب إليه في الظاهر) (٤).

---

(١) ينظر: (نفح الطيب) (٢١١/١) وتاريخ التعليم في الأندلس (ص ٢١٢).

(٢) انظر: (تاريخ التعليم في الأندلس)، (ص ٢١٢).

(٣) انظر: (الحياة العلمية في مدينة بلنسية) (ص٢١٣).

(٤) انظر: وفيات الأعيان، (٢٠٧/٧).

جـ- الحرية التامة في التعلم فلم يكن هناك من يخضع لضغوطات حكومية سواء المدرسين والطلاب، و لم يكن هناك أسلوباً مفروضاً عليهم أو منهج معين[1].

د- تشجيع الملوك والسلاطين للعلم والعلماء، عن طريق علاقاتهم الوطيدة بالعلماء، فأقبل الناس بهمة على طلب العلم، لطموحهم في الوصول إلى ما وصل إليه العلماء من الرتب والمزايا[2].

وهذه النهضة العلمية أنجبت هذا العالم وهو الإمام القرطبي ولا عجب لمن عاصر هذه النهضة العلمية أن يكون عالماً ومؤلفاً سواء في مصر أو في الأندلس لأن الشيء لا يستغرب إذا جاء من معدنه.

---

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، (١/٥٣).

(٢) انظر: الحركة الفكرية في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، (ص ١٤١) وما بعدها.

المبحث الثاني

حياة الإمام القرطبي

المطلب الأول: إسمه، لقبه، كنيته، نسبته

المطلب الثاني: ولادته ونشأته، رحلاته

المطلب الثالث: شيوخه، تلاميذه

أولاً: شيوخه في الأندلس

ثانياً: شيوخه في مصر

ثالثاً: تلاميذه

المبحث الثاني

حياة الإمام القرطبي

المطلب الأول: إسمه، لقبه، كنيته، نسبته

– إسْمُه: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزح الأنصاري الخزرجي المالكي الأندلسي ثم القرطبي[1].

– لَقَبه: لم يعرف القرطبي بلقب اشتهر به، فهو قد اشتهر بنسبته، ومع هذا فقد لقبه بعضهم بـ "شمس الدين"[2].

– كنيته: يكنى الإمام القرطبي بابي عبد الله[3].

– نسبته: مر معنا في اسم الإمام القرطبي أنه خَزْرَجَي بفتح الخاء وسكون الزاي وفتح الراء[4]، نسبة إلى "الخزرج" وهي إحدى قبائل الأنصار المنقسمة إلى أوس وخزرج، وللخزرج أولاد كُثرن كعمرو وعوف وجشم وكعب والحارث ولما كانت الفتوحات الإسلامية انتشروا في الآفاق وعمو في الشرق والغرب بعد أن نصروا رسول الله ﷺ عندما قدم إلى المدينة.

والآن لم يعرفوا باسم الأوس والخرزج إلا القليل منهم مثل الإمام القرطبي بل تغلب عليهم نسبة الأنصار[5].

---

(١) انظر: (طبقات المفسرين)، للداودي، (٢/٦٥ – ٦٦) – و (طبقات المفسرين)، للسيوطي، (ص ٧٩).

(٢) انظر: (القرطبي المفسر) ، (ص٣٣).

(٣) انظر: (نفح الطيب) ، (٢/٤٠٩).

(٤) انظر: (الأنساب) ، (٥/١٠٩) و (اللباب) ، (١/٤٤٠).

(٥) انظر: (طبقات المفسرين)، للداودي (٢/٦٥).

المطلب الثاني: وولادته ونشأته، رحلاته

أ- ولادته ونشأته: ولد الإمام القرطبي في الأندلس وتحديداً في قرطبة ولم يذكروا وقت ولادته لأن القدماء يهتمون بتاريخ الوفاة لأهل العلم أكثر من اهتمام بتواريخ ولادتهم.

ونشأ القرطبي في قرطبة وصار علماً من أعلامها، ونشأ من عائلة متوسطة الحال، حيث كان أبوه يشتغل بالزراعة، وبعد وفاة أبيه وكان عمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره اشتغل بصناعة الخزف ونقل الآجر وكانت من الصناعات المنتشرة في قرطبة[1].

ب- رحلاته: لم يغادر الإمام القرطبي (رحمه الله) مدينته ومسقط رأسه إلا بعد أن اُحتلت فسافر إلى مصر وحصلت له في مصر رحلات وسافر لمدن كثيرة منها:

١- الاسكندرية[2]: أول مدينة عربية التقت بالقادمين من المغرب العربي والأندلس، مكث القرطبي فيها برهة من الزمن، التقى فيها بعلماء أجلاّء وأخذ عنهم ومن هؤلاء العلماء: أبو العباس القرطبي وأبي محمد بن رَواج، وأبي محمد عبد المعطي اللخمي، وكان القرطبي يصرح بالأخذ عنهم وأحياناً يحدد مكان ذلك فيقول عن ابن رواح:

(أنبأناه ... بمسجد بثغر الإسكندرية) [3].

٢- الفَيّوم[4]: وهي من المدن التي سافر إليها الإمام القرطبي برفقة الإمام القرافي[5].

فقد جاء في الوافي بالوفيات: (ترافق القرطبي المفسر، والشيخ شهاب الدين القرافي في السفر إلى الفيوم وكل منها شيخ فنه في عصره...) [6].

---

(١) انظر: (الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير) ، (ص ١٨ - ١٩) و (قرطبة الإسلامية) ، (ص ١٦٨).

(٢) مدينة كبيرة من أقدم مدن مصر، وهي ذات حضارة عريقة، فيها منارة بولغ في وصفها إلى حد كبير اختلف في لذي بناها على أقوال. انظر: (معجم البلدان) ، (١٨٢/١).

(٣) انظر: التذكرة، (ص ١٣٨ و ص ٥٨٩).

(٤) ولاية غربي مصر، تقع في منخفض من الأرض، والنيل أعلى منها، بينها وبين الفسطاط أربعة أيام. انظر: (معجم البلدان) (٢٨٦/٤).

(٥) أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، (ت ٦٨٤هـ)، لقب بشهاب الدين، واشتهر بالقرافي نسبة إلى مصر، فقيه مالكي، له تصانيف منها: (أنوار البروق) و (الذخيرة) انظر: الأعلام (٩٤/١).

(٦) الوافي بالوفيات، (١٢٢/٢ - ١٢٣).

٣- المنصورة[(١)]: استقر القرطبي في هذه المدينة بعد أن قدم إليها سنة (٦٤٧هـ) وكان قد تتلمذ على يد الشيخ أبي علي الحسن بن محمد البكري حيث قرأ عليه بعض الكتب وصرح القرطبي بذلك فقال: (قرأت على الإمام المحدث الحافظ ابن علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري بالجزيرة قبالة المنصورة من الديار المصرية).

٤- القاهرة[(٢)]: كانت هذه المدينة حاضرة مصر وهي اليوم عاصمتها، تقع في طريق كل من يريد الصعيد فعندما سافر القرطبي مر بها وبقي فيها مدة زمنية[(٣)].

٥- منية بين الخصيب[(٤)]: هذه المدينة آخر محطات القرطبي في مصر، فيها استقر إلى أن توفي "رحمه الله" قال في الوافي: (توفي بمنية بني خصيب في الصعيد الأدنى بمصر)، وقد قضى وقته فيها بالعبادة وكثرة التأليف، ولعل من أهم أسباب استقراره فيها أن أهل الصعيد آنذاك يغلب على حالهم الزهد والتعبد فانقطع فيها للتأليف وعبادة الله عز وجل[(٥)].

---

(١) مدينة بقرب القيروان بالشمال الأفريقي، بناها المنصور بن القائم بن المهدي سنة (٣٣٧) انظر: معجم البلدان (٥/٢١١).

(٢) مدينة بمصر، ضخمة تقع بجانب الفسطاط، يجمعها سور واحد، بناها جوهر الصقيلي. انظر: معجم البلدان، (٤/٣٠١).

(٣) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، (ص ٣٩).

(٤) مدينة كبيرة، حسنة، يكثر فيها السكان، تقع على شاطئ النيل في الصعيد الأعلى، انظر: معجم البلدان (٥/ ٢١٨).

(٥) انظر: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (ص ١٦٧- ١٦٨).

المطلب الثالث: شيوخه، تلاميذه.

أولاً: شيوخه في الأندلس:

أ- ابن أبي حجة: وهو أبو جعفر أحمد بن محمد القيسي المعروف بابن أبي حجة، توفي سنة (٦٤٣هـ) وهو من أهل قرطبة، تصدى للإقراء، وعلَّم العربية، من تصانيفه "تسديد اللسان لذكر أنواع البيان" وغيره(١).

ب- أبو سليمان: ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري، توفي سنة (٦٣٢هـ)، من أهل قرطبة، وأحد قضاتها، كان عادلاً في أحكامه، وله مشاركة في علم الحديث(٢).

ج- أبو عامر: يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري، أخو أبو سليمان توفي سنة (٦٣٩هـ)، عالم جليل، حافظ ومحدث، تولى قضاء قرطبة وغيرها، وكان متكلماً دقيق النظر(٣).

د- أبو الحسن: علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري القرطبي المالكي توفي سنة (٦٥١هـ)، تولى القضاء بالقرطبة وامتاز بالبلاغة والأصول، وكان مقرئاً(٤).

هـ- أبو محمد: عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي، توفي سنة (٦١٢هـ)، كان حافظاً محدثاً، تولى قضاء قرطبة(٥). ولم يكثر القرطبي الأخذ عنه، وعن أبي الحسن الأنصاري.

ثانياً: شيوخه في مصر

أ- أبو العباس القرطبي: ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، وبرع في الحديث وفي العربية والفقه وله تصانيف منها "المفهم"، وتوفي سنة (٦٥٦هـ)(٦).

---

(١) انظر: الأعلام، (٢١٩/١).

(٢) انظر: الإمام القرطبي، (ص ٦٥ - ٦٦).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، (٨٠/٢٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣٠٤/٢٣).

(٥) انظر: الأعلام، (٩١/٤).

(٦) انظر: الأعلام (١٨٦/١).

ب- أبو محمد بن رواح: رشيد الدين عبد الوهاب بن رواح بهذا اشتهر واسمه ظافر ابن علي بن فتوح بن حسين الأزدي، القرشي، توفي سنة (٦٤٨هـ) فقيه مالكي سكن الاسكندرية ومن الذين أكثر الأخذ عنه الإمام القرطبي[١].

جـ- أبو محمد: عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي بن أبي الثناء اللخمي، توفي سنة (٦٣٨هـ) كان فقيهاً مالكياً، زاهداً متصوفاً، وله في الرقائق كتب منها "شرح الدلالة على فوائد الرسالة" وغيرها[٢].

د- صدر الدين: أبو علي الحسن بن محمد ابن الشيخ أبي الفتوح محمد بن محمد البكري توفي سنة (٦٥٦هـ)، محدث ولد في دمشق ورحل في طلب العلم سمع من الإمام ابن الصلاح والبرازلي وغيرهما وسمع منه القرطبي بالجزيرة قبالة المنصورة له مصنف اسمه "الأربعين البلدية"، وغيرها[٣].

هـ- بهاء الدين: أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة المسلم اللخمي المعروف (بابن الجميزي) توفي سنة (٦٤٩هـ)، وكان شافعي مفتياً مقرئاً وتولى الخطابة بجامع القاهرة روى الكثير من الحديث في بلدان منها مكة المكرمة[٤].

وللقرطبي رحمه الله مشايخ آخرون غير ما ذكرنا وهذه دلالة علمه وكثرة رحلاته في طلب العلم وملازمته للمشايخ واكتفينا بذكر أبرزهم تجنباً الإطالة.

ثالثاً: تلاميذه

للإمام القرطبي (رحمه الله) تلاميذ أخذوا عنه ومنهم:

أ- ابنه: شهاب الدين أحمد، تلقى من أبيه العلوم وروى عنه بالإجازة وكان عالماً مشاركاً بالفنون[٥].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٣/٢٣٧).

(٢) انظر: الأعلام، (٤/١٥٥).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢/٢١٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (٥/٣٠).

(٥) انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، (ص ٧٩ وما بعدها)، وقد قال القصبي زلط في كتابه "القرطبي ومنهجه في التفسير" (ص ٤٢) إن ابن القرطبي هو نفسه أحمد بن فرج اللخمي الشافعي وهذا خلط فإن هذا لا يتفق مع كونه ابن القرطبي وأن أحمد اللخمي من إشبيلية ونزل بدمشق إلى غير ذلك. وانظر : كتاب طبقات الشافعية، (٨/٢٦).

ب- إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد الخراستاني، توفي سنة (٧٠٩هـ) سمع من السخاوي وابن عساكر وكان ذا خلقٍ جم[١].

جـ- أبو جعفر: أحمد ابن إبراهيم بن الزبير الثقفي، الغرناطي، توفي سنة (٧٠٨هـ) كان حافظاً حجةً، شيخ القراء والمحدثين في الأندلس له مصنفات كثيرة منها "الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام"[٢].

د- أبو بكر: محمد ابن الإمام كمال الدين أبي العباس أحمد بن أمين الدين بن محمد ابن الحسن بن الميمون القسطلاني المصري، توفي سنة (٦٨٦هـ) كان فقيهاً على مذهب الإمام مالك (رحمه الله) أخذ عن علماء كثر وعلماء بمكة المكرمة وغيرها من البلدان[٣].

هـ- ضياء الدين: أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي المعروف بـ (السطربجي) من بغداد أجازه القرطبي بمناولة كتاب التذكرة[٤].

فهؤلاء الخمسة فقط هم تلاميذ الإمام القرطبي و لم يذكر في الكتب التي ترجمت له غيرهم (رحمهم الله) ولعلَّ من أهم الأسباب لذلك أنه بعد أن خرج من الأندلس مكسور القلب على احتلالها وتمكن الأعداء عليها انعزل عن مخالطة الناس فبقي إلى آخر حياته في الصعيد إلى أن مات رحمه الله[٥].

---

(١) انظر: الدرر الكامنة، (٣٧٩/١).

(٢) انظر: الأعلام، (٨٣/١- ٨٤).

(٣) انظر النجوم الزاهرة، (٣٧٣/٧).

(٤) انظر: الإمام القرطبي، (ص٩٤).

(٥) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، (ص ٨٧ وما بعدها).

المبحث الثالث
مكانته وآثاره العلمية

المطلب الأول: مكانته العلمية

المطلب الثاني: آثاره العلمية

أولاً: مؤلفاته المطبوعة

ثانياً: مؤلفاته المخطوطة

ثالثاً: مؤلفاته المفقودة

المبحث الثالث

مكانته وآثاره العلمية

المطلب الأول: مكانته العلمية

كانت للإمام القرطبي (رحمه الله) مكانة علمية رفيعة وهذا ما رأيناه واضحاً في التكلم عن علمه وطلبه للعلم ومن خلال شيوخه الذين أخذ منهم وتلاميذه الذين تتلمذوا على يديه.

وكذلك اشتهر القرطبي بكتب وتصانيف ألّفها ولم يشتهر (رحمه الله) بمناصب تقلدها وإنه من أهم أسباب ذلك زهده وورعه، حيث أثنى عليه كل الذين ترجموا له ووصفوها بالصلاح والعرفان فقد قيل عنه في الديباج: (كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة) [١].

كذلك أثنى عليه صاحب "فوات الوفيات" بقوله: (له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير الكتاب العزيز) [٢].

وهكذا كان (رحمه الله) صالحاً وورعاً وعالماً، والذي يتتبع كلامه يجد في تفسيره هذه الروح وهذا الصلاح، وهذا طبيعي لمن جالس الصالحين في عصره آنذاك والتقى بعلمائه لا سيما وأنهم كانوا من العلماء الذين أمعنوا في العلم فصبغ ذلك على عباداتهم وأخلاقهم (رحمهم الله تعالى) المستقاة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وقد أجمعت كتب التراجم على أن الإمام القرطبي (رحمه الله) توفي سنة (٦٧١هـ) في مصر بمنية بني خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال[٣].

وقبره معروف إلى اليوم في مصر بالمنيا في مكان يسمى (أرض السلطان) [٤] فرحمة الله على إمامنا القرطبي وجعلنا من السائرين على دربه.

---

(١) انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/٦٥).

(٢) فوات الوفيات، (١/٢٩٨).

(٣) انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، (ص ٧٩).

(٤) انظر: القرطبي ومنهجه في التفسير، (ص ٣٠).

المطلب الثاني: آثارهُ العلمية

ذكرت كتب التراجم أن أوقات القرطبي كانت ما بين توجه إلى الله وعبادة وتصنيف وأن له مؤلفات تدل على إمامته وفضله وكثرة إطلاعه[1].

فوجدت له كتباً في مختلف الفنون الإسلامية والعربية كالتفسير والحديث والفقه والزهد والموعظة واللغة وكثير منها يعد موسوعة في فنه.

ومن هذه التصانيف ما هو مطبوع وما هو مخطوط وما قد فقد فلم يعثر عنه سأتكلم عنهن بإيجاز:

أولاً: مؤلفاته المطبوعة

أ- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنَّ من السنة وآي الفرقان، وهذا هو المشهور بتفسير القرطبي، وإن اسمه الكامل هو الذي ذكرناه اعتماداً على ما ذكره القرطبي في التذكرة[2].

ب- التذكار في فضل الأذكار[3].

جـ- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة[4].

د- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام[5].

هـ- قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة[6].

---

(١) انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، (ص ٣٩).

(٢) انظر: التذكرة، (ص ١١٢ و ١٨٦، ٣٨٨ وغيرها من الصفحات).

(٣) انظر: طبقات المفسرين، للداودي، (٦٦/٢).

(٤) انظر: معجم المؤلفين، (٢٤٠/٨).

(٥) انظر: إظهار الحق، (٣٩٥/٢) و تاريخ الأدب العربي، (٣٨٧/١ وما بعدها).

(٦) انظر: هدية العارفين، (١٢٩/٢).

ثانياً: مؤلفاته المخطوطة

أ- رسالة في ألقاب الحديث[١].

ب- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا[٢].

جـ- الأعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام[٣].

د- المقتبس في شرح موطأ الإمام مالك بن أنس[٤].

هـ- المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح[٥].

ثالثاً: مؤلفاته المفقودة

أ- أُرجوزةٌ، (جمع فيها أسماء النبي ﷺ وشرحها) [٦].

ب- شرح التقصي[٧].

جـ- منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد[٨].

د- الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام والحجاز[٩].

هـ- اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية[١٠].

---

(١) انظر: تاريخ الأدب المفرد، (٧٣٧/١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥٦/١) و (١٩١/٢) و (٨٦/١٤).

(٣) انظر: هدية العارفين، (١٢٩/٢).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٧٣/١) و (٩/٣) و (٣٠/١٤) وغيرها. ولكن لم يذكره أحد من الذين ترجموا له.

(٥) انظر: تاريخ الأدب العربي، (٧٣٧/١).

(٦) انظر: الديباج، (ص ٣١٧).

(٧) انظر: نفح الطيب، (٤٩/٢).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢١٦/١٥) ولم ينسبه أحد من المترجمين له.

(٩) ذكره القرطبي في التذكار، (ص ٢٩).

(١٠) انظر: تاريخ الأدب العربي، (٧٣٧/١).

المبحث الرابع

الجانب اللغوي في تفسير القرطبي

المطلب الأول: مصادره اللغوية في تفسيره.

المطلب الثاني: ذكره المسائل اللغوية مقترنة بالقراءات.

المطلب الثالث: اعتماده على المسائل اللغوية في بيان الأحكام الشرعية.

المطلب الرابع: استشهاده بالشعر.

المطلب الخامس: دلالة الألفاظ عند القرطبي.

أولاً: المشترك اللفظي.

ثانياً: الأضداد.

ثالثاً: المترادفات.

رابعاً: الحقيقة والمجاز.

المطلب السادس: ألفاظ لغوية غير دلالية.

أولاً: لغات العرب.

أ- الاختلاف في دلالة الألفاظ.

ب- الاختلاف في بنية المفردات.

- في الحركات.
- في عدد الحروف.
- في ترتيب الحروف.

ج- ترجيح القرطبي لبعض لغات العرب.

ثانياً: الاشتقاق والنحت.

ثالثاً: التعريب

أ- موقف القرطبي من ورود المعرب في القرآن الكريم.

ب- موقف العلماء من ورود المعرب في القرآن الكريم.

المبحث الرابع

الجانب اللغوي في تفسير القرطبي

المطلب الأول: مصادره اللغوية في تفسيره

العلوم التي جمعها القرطبي في تفسيره كثيرة فمنها ما هو إسلامي ومنها ما تعلق بالعربية كاللغة والبلاغة والنحو والشعر، فلم يترك (رحمه الله) مصنفاً مهماً في علم من العلوم إلا وأخذ منه أو اطَّلعَ عليه ولكننا سنقف مع ما نحتاجه مما يتعلق بالجانب اللُغوي.

وطريقة نقله إما من عالم من العلماء دون أن يذكر كتابه وإما من الكتب المعتمدة والبارزة في موضوعها.

وسأكتفي بذكر بعض من هذه الكتب التي أخذ عنها الجانب اللغوي وهي:

١- العين: وهو للخليل الفراهيدي[١] ذكره القرطبي في تفسيره[٢] وهو أول معجم عام في العربية، بل هو من المعجمات الأولى في اللغات الإنسانية ومادة عريقة لمن جاء فصنف في العمجمات العربية[٣] ونقل عنه القرطبي من ذلك ما ذكره في معنى (الكلالة) حيث قال: ((ما رأيتهم إلا وقد تواطئوا وأجمعوا على أن الكلالة من مات ليس له ولد ولا والد، وهكذا قال صاحب كتب العين)) [٤].

٢- معاني القرآن وإعرابه: وهو للإمام الزجاج[٥] وهو كتاب مهم في الناحية اللغوية واعتمد عليه ممن جاء بعده ومن هؤلاء أبو عبد الله القرطبي حيث نقل عنه الكثير من المسائل اللغوية ومن ذلك ما ذكره في معنى الصلاة حيث قال: ((قال الزجاج: الصلاة من الله عز وجل الغفران والثناء الحسن)) [٦].

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ولد سنة (١٠٠هـ) مؤسس علم العروض وأول من وضع معجم للعربية هو العين من أهم علماء المدرسة البصرية في العراق توفي سنة (١٧٣)هـ من يوم الجمعة. ينظر: (بغية الوعاة).

(٢) ينظر (الجامع لأحكام القرآن) (٧٦/٥ و ١٤ و ٥٢ وغيرها).

(٣) ينظر (العين) مقدمة المحققين، (١/ ٧ – ٨).

(٤) ينظر (الجامع لأحكام القرآن)، (٧٦/٥) والعين (٢٧٩/٥).

(٥) وهو إبراهيم بن السري الزجاج، من كبار النحاة، توفي سنة ٣١٥هز ينظر: طبقات النحويين واللغويين، (ص١٢١).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٧٧/٢).

٣- مجمل اللغة: وهو لابن فارس[١] وهذا الكتاب هوَ أول كتاب رتبت مفرداته ترتيباً هجائياً على الحروف الثلاثة الأولى من الكلمة ويعتبر هذا العمل مزيداً من نوعه قياساً بما أُلِّف في المعجمات العربية.

٤- تاج اللغة وصحاح العربية: مؤلف هذا الكتاب هو الجوهري[٢] ولا بد منه الإشارة إلى بعض ما قاله بعض العلماء عن هذا الكتاب قالوا: (إنه أول معجم في العربية التزم صاحبه فيه الصحيح واقتصر عليه ولذا سمي بـــ "الصحاح")[٣].

وكما أسلفنا فإن الإمام القرطبي (رحمه الله) أخذ كذلك عن كثير من العلماء فيما يتعلق بالجانب اللغوي سأكتفي بذكر بعضهم تجنباً الإطالة فمنهم:

١- أبو الأسود الدؤلي: واسمه ظالم بن عمرو واضع النحو العربي، توفي سنة (٦٩هـ) رحمه الله[٤].

أخذ عنه الإمام القرطبي شيئاً من الآراء اللغوية من ذلك ما جاء في حديثه عن معنى (صُرْ) حيث قال: ((عن أبي الأسود الدؤلي: هو بالسريانية التقطيع)[٥].

٢- قتادة: وهو أبو الخطّاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير السدوسي البصري، توفي سنة (٦١-١١٨هـ) وكان مفسراً متمكناً وحافظاً لحديث النبي ﷺ وكان ضريراً وأكمه، رحمه الله[٦].

ونقل عن الإمام القرطبي عدداً من أراءه اللغوية وبخاصة شرحه للمفردات حيث قال في كلمة (فَصَّلْنَا):

((قال قتادة: فصَّلنا: بيَّنا وقدَّرنا)) [٧].

---

(١) وهو أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، من أئمة اللغة، توفي سنة ٣٩٥، ينظر: وفيات الأعيان، (٣٥/١).

(٢) إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري إمام في اللغة، توفي سنة ٣٩٣. ينظر: النجوم الزاهرة (٢٠٧/٤).

(٣) المزهر في علوم اللغة (٩٧/١) وأبي عبد الله وجهوده في النحو واللغة (ص٨١). وذكَرَ أن الذي قال ذلك هو الإمـــام السيوطي.

(٤) وفيات الأعيان، (٢٤٠/١).

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٤/٢).

(٦) ينظر الأعلام (١٨٩/٥).

(٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن (٤٧/٧).

٣- الأخفش الكبير: وهو عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب المعـــروف بـــالأخفش الكبير توفي سنة (١٧٧هـ)[1].

ونقل عنه عدداً من آرائه في اللغة مثال ذلك ما ذكره من أن العرب يجمعون (أرض) على (أفعال) حيث قال: ((زعم أبو الخطاب الأخفش أنهم يقولون: أرض وآراض مثل أهل وآهال))[2].

---

(١) ينظر طبقات النحويين واللغويين (ص٣٥).

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢/١).

المطلب الثاني: ذكره المسائل اللغوية مقترنة بالقراءات القرآنية

مثال ذلك وقوفه رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾ [يس: ٣٠].

وذكر أن (حسرةً) منصوب لأنه نداء نكرة ولا يجوز فيه غير النصب عند البصـــريين[١]. وهذا رد بعض اللغويين على البعض الآخر فأتى بها هنا.

وهذا هو جواب النحاس[٢] للفراء[٣] الذي زعم أن الاختيار النصب ولو رفعت النكـــرة المتصلة بالصلة كان صواباً[٤].

وهذا الكلام اقترن باختلاف القراءات القرآنية في قراءة هذه الكلمة من الله.

حيث قال النحاس: وفي هذا إبطال باب النداء أو أكثره لأنه يرفع النكرة المحضة ويرفع ما هو بمنـــزلة المضاف في طوله ويحذف التنوين متوسطاً ويرفع ما هو في المعنى مفعول بغـــير علـــة أوجبت ذلك[٥].

---

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس، (٧١٨/٢).

(٢) هو أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس النحوي المصري أخذ عن المبرد والزجاج توفي سنة (٣٣٨هـ) ينظـــر: طبقـــات النحويين واللغويين، (ص ٢٣٩).

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله أبو زكريا المعروف بالفراء، إمام الكوفة في العراق في النحو توفي سنة (٢٠٧هـ) ينظـــر: بغية الوعاة (٣٣٣/٢).

(٤) معاني القرآن للفراء، (٣٧٥/٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢٢/١٥).

المطلب الثالث: اعتماده على المسائل اللغوية في بيان الأحكام الشرعية

من تلك الأمور اللغوية والتي سببت اختلاف الفقهاء بسبب اختـلاف معناهـا كلمـة (حُصِرَ) و (أُحْصِرَ) في قوله عز وجل: ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فـاتفقوا على أن المراد مَنْ منعه العدو الوصول لمكة[١].

فمنهم من قالوا تدل على العدو والمرض وإلى هذا ذهب الحنفية ومنهم من قال أن حصر للمرض وأُحصر للعدو ولا يدخل المرض فيها وهم الحنابلة والمالكية والشافعية[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٣٧١/٢ - ٣٧٣).

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن (٣٧٣/٢ وما بعدها)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٦٨/١).

المطلب الرابع: استشهاده بالشعر

استخدم القرطبي الشعر في تفسيره كثيراً لو أراد باحث أن يتقصى ذلك كله لطـال بـه المقام وضاق عن استيعابه.

وكان رحمه الله يذكر الأشعار لأغراض مختلفة وخاصة بيان المعنى اللغوي فمن ذلك مثلاً:

في قوله تعالى: (لا ريب فيه) بيَّن معاني (الريب) بالشعر فقال:

وفي الريب ثلاث معان أحدهما: الشك. قال احد الشعراء:

س في الحق يا أميمة ريب ... ا الريب ما يقول الجهول

وثانيهما: التهمة. قال آخر.

بنة قالت يا جميل أربتني ... لت كلانا يا بثين مريب

وثالثهما: الحاجة. قال:

نبينا من تهامة كل ريب ... حيبر ثم أجمعنا السيوفا[1]

وكذلك عندما تكلم عن معنى النصر حيث قال: النصر: العون والانتصار.

والنصر: الإتيان، يقال: نصرت أرض بني فلان: أتيتها، قال الشاعر:

ا دخل الشهر الحرام فودعي ... د تميم وانصري أرض عامر

والنصر العطاء، قال:

، وأسطار سُطِرْن سطرا ... ائل يا نصر نصراً[2]

وقد تكلم القرطبي واستشهد بالشعر كثيراً ولكني اقتصرت على هذه الآية تجنباً للإطالة.

(١) ينظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٥٩/١)، والقرطبي ومنهجه في التفسير (ص٢٧٠).

(٢) الجامع لأحاكم القرآن (٣٨٠/١ وما بعدها).

المطلب الخامس: دلالة الألفاظ عند القرطبي

لا ريب أن دلالة الألفاظ موضوع ذو أهمية في الجانب اللغوي واللفظ إما يدُّل على معنى وإما إن يكون لفظ مهمل لا معنى له.

وما يعنينا ببحثنا هو اللفظ الذي يدُّل على المعنى لأن اللُغة لا تكون لغة إلا إذا كان لها معنى.

وسأتكلم عن بعض من هذه الدلالات المهمة للألفاظ ومنها:

أولاً- المشترك اللفظي: هو اللفظ الواحد الدال على أكثر من معنى دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة[(١)].

والقرطبي ذكر هذه الظاهرة في تفسيره وقال عنها بأنها من (المشترك اللفظي) حيث قال مثلاً من تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤]: إن العرش لفظ مشترك فقال: (العرش: لفظ مشترك يطلق على أكثر من واحد ... العرش سرير الملك ... والعرش سقف البيت وعرش القدم ما نتأ في ظهرها وفيه الأصابع وعرش البئر: طيُّها بالخشب بعد أن يطوي أسفلها بالحجارة قدر قامة فذلك الخشب هو العرش .... والعرش: اسم لمكة والعرش: الملك والسلطان) [(٢)].

وكذلك كلمة الدين: قال في تعليقه عل قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

الدين: الجزاء على الأعمال والحساب بها كذا قال ابن عباس وغيره يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ [النور: ٢٥].

أي حسابهم ... ومنه الديان في صفة الرب، أي المجازي ... ومعاني هذه الثلاثة متقاربة ... فعلى هذا هو لفظ مشترك، ويطلق الدين على العادة والشأن.

* كدنيك من أم الحويرث قبلها*

فإذن صارت كلمة الدين عدة معاني كما رأينا في كلمة العرش وقال إنها من المشترك اللفظي[(٣)].

---

(١) المزهر في علوم اللغة (٣٦٩/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (١٤٣/١ - ١٤٥).

وكذلك كلمة الرقيب: عندما قال في تفسيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

فقال رقيباً: أي حفيفاً، قيل: بمعنى فاعل.

فالرقيب من صفات الله تعالى، والرقيب: الحافظ والمنتظر، تقول: رقبت أرقب رقبة ورقباناً: إذا انتظرت، والمرقب: المكان العالي المشرف الذي يقف عليه من يراقب شيء ما أو الهلال.

وهكذا نراه أورد هذه المعاني المتعددة للرقيب وصرح أنها من المشترك[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٥/٧ -٨).

ثانياً: الأضداد

الأضداد لغةً: جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه مثل: البياض والسواد، والسخاء والبخل، والجبن والشجاعة[1].

اصطلاحاً: لفظ يطلق على المعنى ونقيضه وذلك كالجون للأسود والأبيض، وكالجلل للعظيم والهيّن من الأمور[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن الإمام القرطبي (رحمه الله) ممن أقرَّ بوقوع الأضداد في لغتنا وأتى بكثير من الأضداد في تفسيره سأكتفي بذكر ثلاث أمثلة منها:

أ- عَسْعَسَ: عند وقوفه أمام قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [سورة التكوير: ١٧]، قال: ((قال الفراء[3]: أجمع المفسرون على أن معنى (عسعس) أدبر. حكاه الخليل[4] وغيره، عسعس الليل إذا أقبل أوأدبر. هو من الأضداد والمعنيان يرجعان لشيء واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره[5].

ب- الرَسُّ: قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [سورة الفرقان: ٣٨]، (الرَّس: الإصلاح بين الناس والإفساد أيضاً وقد رسست بينهم، فهو من الأضداد) [6].

جـ- إرتاب: قال في تعليقه على قول الله: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾ [الطلاق: ٤].

إن ارتبتم، أي شككتم، وقيل: تيقنتم وهو من الأضداد يكون شكاً ويقيناً كالظن[7].

---

(١) ينظر: الأضداد في كلام العرب، (١/١).

(٢) ينظر: الأضداد في اللغة، (ص٩٩) للدكتور محمد حسين آل ياسين.

(٣) معاني القرآن للفراء، (٢٤٢/٣).

(٤) العين، (٧٤/١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٨/١٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، (٣٣/١٣).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، (١٦٣/١٨).

ثالثاً: المترادفات

وهما لفظان أو أكثر يدُّلان على معنى واحد بشرط اتفاقهما في البيئة اللغوية والعصر وأن لا تكون تلك الدلالة نتيجة تطور صوتي لأحدهما على الآخر[1].

والإمام القرطبي أقر بوقوع الترادف في تفسيره وقليلاً ما كان يذكر مصطلح الترادف ويعبر عنه بقوله لفظين جاءا في معنى واحد.

ومن أمثلة ذلك:

أ- البخل والشح: ذكر عندما تحدث عنهما أن العلماء فرقتان: فرقة فرقت بينهما وأخرى قالت: إن الشح هو البخل فقال عن الأخير هو الصحيح[2].

ب- السلام والتحية: ذكر القرطبي أن هناك من فرَّقَ بينهما ثم قال: (والأظهر أنهما بمعنى واحد)[3] ودليله قول الله تبارك وتعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٤] فالتحية هي السلام[4].

جـ- حرَّض، أكَّب، واظب: تكلم عن هذه الألفاظ وقال إنها من المترادفات فقال حيث يقال: حرضت فلاناً على كذا إذا أمرته به وحارض فلان على الأمر وأكَّي وواضب بمعنى واحد[5].

---

(١) فصول في فقه العربية، ص ٢٨٤.

(٢) بنظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٣/٤.

(٣) المصدر السابق (٨٤/١٣).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر السابق (٢٩٣/٥).

رابعاً: الحقيقة والمجاز

أتى القرطبي (رحمه الله) في تفسيره بالدلالة الحقيقة والمجازية وميَّز بين الدلالتين وبيَّن الغرض من استعمال المجاز ومن أمثلة ذلك:

أ- الطعام: عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤] فقال: ((المائدة هو الخوان الذي يؤكل عليه الطعام ... ويسمى الطعام مائدة جوازاً لأنه يؤكل على المائدة))[١].

ب- التولية: عند تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ قال القرطبي: ((تولى: تفعل وأصله الإعراض والإدبار عن الشخص بالجسم ثم استعمل في الإعراض عن الأوامر[٢] والمعتقدات والأديان اتساعاً ومجازاً))[٣].

جـ- الهبوط: قال في تعليقه على الآية: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]: ((إن من الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم لخروج الماء منها وتردِّيها.

قال مجاهد[٤]: ((ما تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء إلا من خشية الله ...)).

وقيل: لفظة الهبوط مجاز، وذلك عن الحجارة لما كانت القلوب تعتبر بخلقها تاجرة، أي: تبعث من يراها على شرائها.

فقال إمامنا: ((قلت: كل ما قيل يحتمله اللفظ والأول صحيح فإنه لا يمتنع أن يعطي بعض الجمادات المعرفة فيعقل كالذي روي عن الجذع الذي كان ستند إليه رسول الله ﷺ))[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٦٧/٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٣٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٣٨/١).

(٤) سبق ترجمته (ص ٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤٦٥/١).

المطلب السادس: ألفاظ لغوية غير دلالية

أولاً: لغات العرب: اختلفت لغات العرب وتطرق القرطبي (رحمه الله) لذلك وهذا الاختلاف ينقسم إلى أنواع:

أ- الاختلاف في دلالة الألفاظ:

فقد ذكر القرطبي ذلك من تفسيره فمثلاً عندما قال في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١] أي (لاهون معرضون) عن ابن عباس[١].

وقال عكرمة[٢] عنه: هو الغناء بلغة الحمير، يقال: سَمِّد لنا أي: غني لنا فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا[٣].

فقد بيّن القرطبي أن السامد الحمير دلالة على المغني ويَدُل على الحد أو الخمول تارة وتارة[٤].

وكذلك في قوله الله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]

حيث قال: الرزق مصدر رزق يرزق رزقاً والرزق العطاء، والرازقية ثياب كتان بيض وارتزق الجند: أخذوا أرزقاهم والرزقة: المرة الواحدة كما في الصحاح مادة رزق.

وقيل الرزق بلغة أزد شنوءة: الشكر. وهو قول الله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي شكركم التكذيب، ويقول رزقني، أي شكرني[٥].

فإذن تبين الفرق في إطلاق الرزق والدلالة على معناها في لغات العرب.

وهكذا في كلمة السلوى ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]

فقيل السلوى هو: السُّماني نوع من أنواع الطيور.

---

(١) الحافظ المفسر: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابي الجليل ابن عم رسول الله ﷺ (ت ٦٨) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي بقوله: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ينظر سير أعلام النبلاء (٣٣١/٣).

(٢) الحافظ المفسر أبو عبد الله عكرمة القرشي المدني البربري حدَّث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وعلي رضي الله عنهم وآخرون، وكان من سكان المدينة أبيض اللحية توفي سنة (١٠٥) وقيل (١٠٤) ينظر سير أعلام النبلاء (١٢/٥ - ٣٥).

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن (١٢٣/١٧).

(٤) الصحاح (مادة سمد)، والقرطبي ومنهجه في اللغة والنحو ص (٢٠٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧٨/١).

وقيل هو العسل بلغة كنانة لأنه يسلى به وكذلك في الصحاح.

فيتبين لنا أن القرطبي اختار العسل من خلال رده على من ادعى أنه الطير[1].

ب- الاختلاف في بينة المفردات:

وينقسم إلى أقسام يكون منها وهي:

١- اختلاف في الحركات:

ومثال ذلك إبدال الفتحة كسرة.

وهذا جاء في تفسير قول الله ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] حيث قال: القرية المدينة سميت بذلك لأنها تقرَّت، أي: اجتمعت ومنه: قريت الماء في الحوض جمعته والقرية (بكسر القاف) لغةُ اليمن[2].

٢- اختلاف في عدد الحروف:

ومثاله كلمة (ميِّت) المشدد الياء و (مَيْت) ساكن الياء بمعنى واحد وهما لغتان فالذي زاد بالحرف لم يؤدي إلى زيادة في المعنى على المجرد[3].

٣- اختلاف في ترتيب الحروف:

ومثاله في حديثه (رحمه الله) عن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ [يوسف: ٨٠] حيث قال: ((قال قوم: أَيِسَ ويَئِسَ لغتان، أي: فلما يئسوا من رد أخيهم))[4].

وكذلك (طمس وطسم) في قوله جل وعلا ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [النساء: ٤٧] حيث قال: يقال في الكلام طسم ويطسم بمعنى: طمس، يقال: طمس الأثر وطسم، أي: امحي، كله لغات، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] أي: أهلكها[5].

جـ- ترجيح القرطبي لبعض لغات العرب:

رجَّح القرطبي (رحمه الله) عدداً من لغات العرب على البعض الآخر في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ومثال ذلك:

---

(١) المصدر السابق (٤٠٧/١).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٠٩/١).

(٣) المصدر السابق (٣٥٠/٧).

(٤) المصدر السابق (٢٤١/٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/٥).

قوله تعالى: ﴿ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ [الكهف: ٩٦] حيث قال في تفسيره لها: ((قرأ نافع حمزة والكسائي (الصَّدَفين) بفتح الصاد وشدِّها وفتح الدال[١] وهي قراءة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز[٢] وهي اختيار أبو عبيدة[٣] لأنها أشهر اللغات[٤] وهي لغة تميم[٥].

وذكر كذلك في كلمة (لدن) حيث قال بوجود أربع لغات فيها إحداها بفتح اللام وضم الدال وجزم النون ووصفها بأنها أفضح اللغات وهي لغة أهل الحجاز[٦].

فنرى أن الإمام القرطبي رجَّح هذه اللغة بقوله (أشهر اللغات) وهذه اللغة هي لغة تميم كما علمنا فيما سبق.

---

(١) النشر في القراءات العشر (٣١٥/٢) وأبو عبد الله القرطبي وجهوده (ص٢١٥).

(٢) هو الخليفة العادل الصالح، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو حفص، توفي سنة (١٠١هـ) ينظر حلية الأولياء (٢٥٣/٥).

(٣) معمر بن المثني التميمي،من أعلام اللغة، توفي سنة (٢١٠هـ)، ينظر طبقات النحويين واللغويين (ص ١٩٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦١/١١).

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) المصدر السبق (٢١/٤).

ثانياً: الاشتقاق والنحت

مرَّ الإمام القرطبي بهذين المبحثين المهمين من مباحث اللغة في تفسيره وسنذكر بعض مما ذكره القرطبي في هذا المجال مختصراً رغبة في الإيجاز.

الاشتقاق: اعتنى القرطبي بالاشتقاق العام وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى مع تغيير الصيغة وتشابه في المعنى مع الاتفاق على الأحرف الأصلية ودلالة الثانية على معنى الأصل.

كضارب من: ضَرَبَ[(١)].

ومن أمثلة ذلك في تفسير الإمام القرطبي:

اشتقاق (آدم) من الأديم فبعد أن تكلم عن اختلاف العلماء في هذا قال: ((قلت: الصحيح أنه مشتق من أديم الأرض)) [(٢)].

واشتقاق (الاسم) من السمو، حيث قال: ((اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين فقال البصريون: هو مشتق من السمو، والعلو والرفعة وقال الكوفيون: مشتقة من السمة وهي العلامة والأول أصح))[(٣)].

أما النحت: فهو انتزاع كلمة من كلمتين أو جملة لتدل على مجموع ما انتزعن منه[(٤)].

وهو برأيي قريب من الاشتقاق. وذكر ذلك الإمام القرطبي (رحمه الله) في تفسيره من دون أن يسميه (بالنحت) ولكن سماه بالألفاظ المولّدة أي إنها ليست أصل من اللغة[(٥)].

---

(١) المزهر في علوم اللغة (٣٤٦/١). وأبي عبد الله القرطبي وجهوده (ص ٢١٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠٣/١ و ١٠٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠١/١).

(٤) المزهر في علوم اللغة (٤٨٢/١).

(٥) أبو عبد الله القرطبي وجهوده (ص ٢١٩).

فمثال ما ذكره القرطبي (رحمه الله) من النحت وسماه كما قلنا بالألفاظ المولّدة هي كلمة "البسملة" حيث قال في تفسيره: ((يقال لمن قال بسم الله: مبسمل، وهي لغة مولدة وقد جاءت في الشعر كقول الشاعر:

لقد بَسْملَتْ ليلى غَـــداةَ لَقِيتُهـــا   فيا حبذا ذاك الحبيـــبُ المُبَسْـــمِلِ[1]

وكذلك يقال: ((الحيعلة)) إذا أراد حي على الصلاة و ((جعفل)) إذا أراد جعلت فداك و ((طبقل)) أطال الله بقاءك و ((دمعز)) أدام الله عزك[2].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٩٧).

(٢) المصدر السابق نفسه.

ثالثاً: التعريب

عُرِّف التعريب من قبل العلماء والمحدثين فأما العلماء فقالوا في تعريفه: استعمال العرب ألفاظاً موضوعة لمعان في غير لغتهم[١].

وأما المحدثون فقالوا: هو اقتراض اللغة العربية من لغات أخرى سواء اتفق المعنيان أم لا[٢].

أ- موقف القرطبي من ورود المعرب في القرآن الكريم.

تكلم الإمام رحمه الله عن المعرب في القرآن الكريم، وأيد وقوعها فيه في قسم من الألفاظ، وأن ما يؤيد ذلك سكوته عن التعليق عليها، ولكنه مع هذا لم يؤيد عن ما قاله بعض العلماء بورود الأعلام الأعجمية[٣].

وفسر الكثير من الكلمات باللغات المتوافقة في حين أشاد العلماء إلى إنها من المعرب[٤].

ومما يزيدنا معرفةً من التعريب بعض الألفاظ التي تناولها الإمام القرطبي في تفسيره والتي لها صلة بهذا البحث ومنها:

١- القُسطاس: قال رحمه الله: "القُسطاس" بضم القاف وكسرها: الميزان في لغة الروم.

وقيل: القسطاس: الميزان صغيراً كان أو كبيراً قاله الزجاج[٥].

وقال مجاهد[٦]: القسطاس: العدل وكان يقول لغةٌ رومية[٧].

٢- صُرْهُنَّ: قال القرطبي (رحمه الله): ((قال الضحاك[٨]: ورواية عن ابن عباس[٩] أنها لفظة بالنبطية معناه: قَطِّعهْنَّ))[١٠].

---

(١) المعُرب (ص٣) للجواليقي.

(٢) التهذيب في أصول التعريب (ص ٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/٦٨ - ٦٩).

(٤) المصدر السابق (١٠/٣٩٧ و ١٦/١٥٢ و ١٩/٣٩).

(٥) سبقت ترجمته (ص ٨).

(٦) سبقت ترجمته (ص ٦).

(٧) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/٢٥٧) وتفسير مجاهد رحمه الله (١/٣٦٢).

(٨) الضحاك بن مزاحم أبو القاسم، تابعي، مفسر، سمع من سعيد بن جبير وأخذ عنه، توفي سنة (١٠٥هـ) ينظر: ميزان الاعتدال (١/٤٧١).

(٩) سبقت ترجمته (ص ٧).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٠١).

٣- التنور: قال عنه في تفسيره هو اسم أعجمي عرَّبته العرب وهو على بناء فعَّـــل لأن أصل بناءه (تَنَّر) وليس في كلام العرب نون قبل راء[١].

ب- موقف العلماء من ورود المعرب في القرآن الكريم

إن مما اتفق العلماء عليه ورود أعلام أعجمية في القرآن الكريم[٢].

أما فيما غير ذلك فهم ثلاثة أقسام وهي:

١- أهل العربية بمجملهم قالوا: لم يرد شيء من ذلك في القرآن الكريم وأن القرآن الكريم عربي فصيح وأما ما ينسب إلى اللغات الأخرى فهي ألفاظ تكلمت فيها العرب والفرس والحبشة وغيرهم[٣].

٢- الفقهاء قالوا: ورد ذلك في القرآن الكريم ولكن لا تخرج من كون القـــرآن عربيـــاً مبيناً[٤].

٣- فرقة ثالثة وفقت بين القولين حيث قال بعضهم: الصواب مذهب يصدِّق القـــولين وذلك أن الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ولكنها سقطت للعرب فاعرتبتها بألســـنتها وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نـــزل القرآن والحروف هذه اختلطـــت بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال أعجمية فهو صادق[٥].

وهذا قول أبو عبيد[٦] رحمه الله.

وصلى الله عل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤/٩) وينظر المعرب (ص٨٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩٧/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦٨/١).

(٤) المصدر السابق (٦٩/١).

(٥) ينظر المعرب (ص٤) ، والمحرر الوجيز (٦٨/١).

(٦) وهو القاسم بن سلام الهروي، محدث لغوي أديب فقيه توفي سنة (٢٢٤هـ) ينظـــر طبقـــات النحـــويين واللغـــويين (ص٢١٧).

((الخاتمة))

وفي نهاية هذه الرحلة مع الإمام القرطبي رحمه الله من خلال تفسيره "الجـــامع لأحكـــام القرآن" لا بد من الإشارة إلى أهم النتائج التي استنتجتها في هذه الجولة المباركة.

أولاً: إن علم التفسير هو علم شامل لكل العلوم، فتجد فيه مثلاً الفقه والعقيدة كما تجد اللغة والبلاغة وهكذا.

ثانياً: لا بد على المنشغل في التفسير أن يلتزم بالخلق القرآني الرفيع حتى عند الرد علـــى المخالف أو إبداء الرأي وهذا ما رأيناه عند الإمام القرطبي "رحمه الله".

ثالثاً: علّمنا الإمام القرطبي من خلال رحلته وسفره من بلاده لا سيما بعـــد نكبتـــه أن طالب العلم لا بد أن يواصل طريقه العلمي مهما حاطت به من ظروف وذلـــك للوصـــول إلى المقصد الأسمى بخدمة دينه وبلده خلال علمه.

رابعاً: لا يمكن لأحد بل لا يجوز أن يتجرأ على تفسير كلام الله بدون علم وإلمام بقواعد اللغة كما قال الإمام مجاهد (رحمه الله).

وعليه فالأمر يحتاج إلى شديد تأنٍ وورع عند التكلم والعمل بهذا العلم وهذا الذي كان عند الإمام (رحمه الله).

خامساً: كان الإمام (رحمه الله) ذا موسوعة ثقافية عالية بسبب تتلمذه على أكابر علماء عصره آنذاك فهذا يدل على أن العلم خاصة المتعلق بكلام الله لا يؤخذ إلا عن طريـــق العلمـــاء المختصين.

سادساً: اللغة هي أساس من أسس تفسير كلام الله لأن القرآن الكريم احتـــوى علـــى إحكام الشريعة الإسلامية ومن الطبيعي إن فهمها مرتبط بفهمه فلا يتقرب لتفسيره والعمل به من لا يملك حصانة لغوية وعلماً جماً.

سابعاً: إن جهود القرطبي اللغوية قد ظهرت عندما تكلم عن الآيات المتضـــمنة ألفاظـــاً تتصل بمباحث لغوية: دلالية أم غير دلالية فقد عرض للمشترك اللفظـــي والتضـــاد والتـــرادف والحقيقة والمجاز كما عرض للغات القبائل العربية التي ذكر كثيراً منها ووازن بين آفات عدد من تلك القبائل وعرض للاشتقاق والنحت والتعريب وذلك خلال تفسيره آيات القرآن وألفاظه.

وبعد هذا الجهد لا يسعني إلا أن أدعوا الله العلي القدير أن يعلمني ما ينفعني وينفعني بمـــا علمني ويزدني علماً أنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلى الله عل سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

الفهارس العلمية

- فهرس الآيات
- فهرس الأعلام
- فهرس الأشعار
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات الكريمة

ت	الآية	سورة	رقمها	رقم الآية	صفحة
	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾	البقرة	٢	٢	٤٠
	﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ .... ﴾	البقرة	٢	٣	٣٧
	﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ .... ﴾	البقرة	٢	٥٧	٤٠
	﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ .... ﴾	البقرة	٢	٦٤	٣٩
	﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ...... ﴾	البقرة	٢	٧٤	٣٩
	﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ .... ﴾	البقرة	٢	١٩٦	٣٥
	﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ ...... ﴾	النساء	٤	٤٧	٤١
	﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً .... ﴾	المائدة	٥	١١٤	٣٩
	﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ .... ﴾	الأعراف	٧	٥٤	٣٧
	﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ .... ﴾	يونس	١٠	٨٨	٤١
	﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ .... ﴾	يوسف	١٢	٨٠	٤١
	﴿ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ .... ﴾	الكهف	١٨	٩٦	٤١
	﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ ..... ﴾	النور	٢٤	٢٥	٣٧
	﴿ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ .... ﴾	الفرقان	٢٥	٣٨	٣٨
	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	الشعراء	٢٦	١٩٥	٦
	﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ .... ﴾	الأحزاب	٣٣	٤٤	٣٨
	﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ .... ﴾	يس	٣٦	٣٠	٣٤
	﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى .... ﴾	الزمر	٣٩	٢٨	٦
	﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾	النجم	٥٣	٦١	٤٠
	﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ ..... ﴾	الطلاق	٦٥	٤	٣٨
	﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾	التكوير	٨١	١٧	٣٨

فهرس الأشعار

ت	البيت كاملاً	قائله / نوعه	الصفحة
	إذا دخل الشهر الحرام فودِّعي بلاد تميم وانصري أرض عامر	الراعي "طويل"	٣٦
	إني وأسطار سُطِرن سطرا لقائل يا نصر نصراً نصراً	رؤبة "زجر"	٣٦
	بثينة قالت يا جميلُ اربتني فقلت كلانا يا جميل مريب	جميل	٣٦
	قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا	جميل	٣٦
	لقد بسملت ليلى غداة لقيتها ويا حبذا ذاك الحبيب المبسمل	عمرو بن أبي ربيعة "طويل"	٤٢
	ليس في الحق يا أميمة ريب إنما الريب ما يقول الجهول	عبد الله الزعبري	٣٦

فهرس الأعلام

ت	العلم	صفحات الورود
	ابن الصلاح	٢٤
	ابن عباس	٧-٤٠
	ابن عساكر	٢٥
	ابن عطية الأندلسي	٧ في الهامش
	ابن فارس	٣٢
	أبو الأسود الدؤولي	٣٢
	أبو العباس القرطبي	٢١-٢٤
	أبو بكر محمد بن الإمام كمال الدين القسطلاني	٢٥
	أبو جعفر "ابن أبي حجة"	٢٣
	أبو زهرة	١٣
	أبو عبد الله "الناصر لدين الله"	١٢
	أبو عبد الله القرطبي	١
	أبو عبيد	٤٤
	أبو عبيدة	٧-١٤
	أبو محمد بن رواح	٢١-٢٤
	أبو محمد عبد المعطي اللخمي	٢١-٢٤
	أبو يعقوب "المستنصر بالله"	١٢
	أحمد بن إبراهيم الغرناطي "أبو جعفر"	٢٥
	الأخفش	٧-٣٣
	إسماعيل بن محمد الخراساني	٢٥

ت	العلم	صفحات الورود
	الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله	٣٥
	الإمام مالك	٢٥-٢٩
	أميمة	٣٦
	بثينة	٣٦
	البرازلي	٢٤
	بهاء الدين أبو الحسن علي اللخمي	٢٤
	الجصاص	٤
	جميل	٣٦
	الجوهري	٣٢
	الحسن بن محمد بن محمد البكري	٢٢-٢٤
	الخليل الفراهيدي	٣١
	ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري أبو سليمان	٢٣
	الزجاج	٨-٣١-٤٣
	الزمخشري	٧ في الهامش
	السخاوي	٢٥
	سيدنا آدم عليه السلام	٤٢
	سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٤١
	شهاب الدين القرافي	٢١
	صلاح الدين الأيوبي	١٣-١٨
	الضحاك بن مزاحم	٤٣
	ضياء الدين أحمد البغدادي السطريجي	٢٥
	الطبري	٧ في الهامش

ت	العلم	صفحات الورود
	عبد العزيز حاجي	٤
	عبد القادر رحيم جدي الهيتي	٢
	عبد الله بن سليمان بن داود الأنصاري	٢٣
	عبد المؤمن بن علي	١٠
	علي بن عبد الله محمد أبو الحسن	٢٣
	الفراء	٤-٧-٣٧
	فرناندو	١٢
	قتادة	٣٢
	القصبي محمود زلط	٢-١١
	ليلى	٤٢
	مجاهد	٦-٧-٤٣
	محمد بن عبد الله تومرت	١٠
	مشهور حسن محمود سلمان	٢
	مفتاح سنوسي بلعم	٢
	مقاتل	٧
	النحاس	٤-٨-٣٤
	يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري أبو عامر	٢٣
	يعقوب المنصور	١١

فهرس الأماكن والبلدان

ت	البلد أو المدينة أو المكان	صفحة الورود
	أرض السلطان	٢٧
	الأرك	١١
	إسبانيا	١٤
	الإسكندرية	٢١
	إشبيلية	١٠
	الأندلس	١٠
	باجة	١١
	البرتغال	١١
	بغداد الحبيبة	٢٥
	بلاد العرب	٤٤
	بلاد فارس "الفرس"	٤٤
	جبل الفتح	١١
	الحبشة	٤٤
	الحجاز	٢٩
	حصن العقاب	١٢
	دمشق	٢٤
	رومية	٤٣
	الشام	١٣
	العراق	١٣
	غرناطة	١١

ت	البلد أو المدينة أو المكان	صفحة الورود
	الفيوم	٢١
	القاهرة	٢٢
	قشتالة	١١
	الكوفة	٢٩
	ليون	١١
	مصر	١٣
	المغرب	١٤
	مكة المكرمة	٢٤
	المنصورة	٢٢
	منية بن الخصيب	٢٢
	اليمن	٤٠

المصادر والمراجع

١- أبو عبد الله وجهوده في علم النحو واللغة، الدكتور عبد القادر رحيم جدي الهيتي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٦م.

٢- أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣- الاستقصاء، لأخبار المغرب الأقصى، أحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

٤- الأضداد في اللغة، أبو بكر الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.

٥- الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي، تحقيق عزة حسن، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٣.

٦- إظهار الحق، رحمة الله ابن خليل الهندي (١٣٠٦هـ)، تحقيق وتعليق محمد أحمد عبد القادر المكاوي، طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء.

٧- إعراب القرآن، أبي جعفر أحمد بن محمد إسماعيل ابن النحاس ٣٣٨هـ، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٨٠م، ط٥.

٩- الإمام ابن تيمية، حياته وعصره وآراؤه وفقهه، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر.

١٠- الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، المشهور حسن محمود سلمان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

١١- الأنساب، أبو سعيد الكريم بن محمد السمعاني (٥٦٢هـ)، تقديم عبد الله البارودي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

١٢- البحر المحيط، للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٧٤٥هـ)، عناية صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٩٩٢.

١٣- البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، بيروت – لبنان.

١٤- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٥- بغية الوعاة، في طبقات النحويين واللغات، الإمام السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل أو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي، مصر، ١٣٨٤هـ.

١٦- البيضاوي مفسراً، الدكتور عبد العزيز حاجي، دار الحسنين بدمشق، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٧- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط ٣.

١٨- التاريخ الأندلسي، من الفتح الإسلامي وحتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، الكويت – دمشق، ط١، ١٩٧٩م.

١٩- تاريخ التعليم في الأندلس، محمد عبد الحميد عيسى، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٢م.

٢٠- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة لقرطبة، عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية.

٢١- تاريخ المغرب الكبير، جلال يحيى رشيد الناضوري والسيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، ط١.

٢٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، شمس الدين أبي عبد الله القرطبي (٦٧١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٣- تفسير مجاهد، للإمام مجاهد بن جبر المكي، تحقيق عبد الرحمن الطاهر، المنشورات العلمية، بيروت.

٢٤- التهذيب في أصول التعريب، لأحمد عيسى، طبع مصر - القاهرة، ١٩٢٣م.

٢٥- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تقديم خليل محي الدين الميس، مراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٩٩٥م.

٢٦- الحركة الفكرية في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، عبد اللطيف حمزة، تقديم جابر عصفور، الهيئة العامة للكتاب، مصر - القاهرة.

٢٧- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الأصبهاني، (ت ٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٨- الحياة العلمية في مدينة بلنسية، كريم عجيل حسين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٦م.

٢٩- الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة، شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن محمد ابن حجر العسقلاني، دار الجيل - بيروت.

٣٠- الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، ابن فرحون المالكي، مطبعة السعادة بمصر، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور.

٣١- روح المعاني، للإمام شهاب الدين الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٢- الروض المعطار، في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، ط٢، ١٩٨٠م.

٣٣- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، تقديم د. بشار عواد معروف رئيس قسم التاريخ في جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٨٦.

٣٤- الصحاح، الإمام الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مصر - القاهرة، ١٩٥٦م.

٣٥- طبقات الشافعية، عبد الوهاب بن علي الكافي السبكي، مطبعة الحينية مصر، ط١، تحقيق، محمود الصناحي.

٣٦- طبقات الشافعية، للحسيني، تحقيق عادل نويبض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٧- طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (٩٤٥هـ)، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٨- طبقات المفسرين، للإمام جلال الدين السيوطي، طبع بليون، ١٨٣٩هـ.

٣٩- طبقات النحويين واللغويين، للإمام الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الخانجي، ١٩٧٠هـ.

٤٠- عصر المرابطين والموحدين في المغرب في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.

٤١- العين، للخليل الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، ط ١٩٨٥م.

٤٢- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، ط١، مصر - القاهرة، ١٩٧٣م.

٤٣- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان.

٤٤- قرطبة الإسلامية، في القرن الخامس الهجري، الشيخ محمد عبد الوهاب خلاف، الدار التونسية، ١٤٠٤هـ.

٤٥- قرطبة حاظرة الخلافة في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.

٤٦- قرطبة في التاريخ الإسلامي، الدكتور جودة هلال، الكتبة الثقافية.

٤٧- القرطبي ومنهجه في التفسير، القصبي محمود زلط، الأستاذ في الأزهر وقطر ، دار القلم.

٤٨- قصة العرب، في إسبانيا، علي الجارم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م.

٤٩- اللباب، في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، مكتبة حسام الدين القدسي، مصر - القاهرة.

٥٠- المحرر الوجيز، أبو محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالي الفاروق وغيره، طبع أمير دولة قطر، الدوحة، ط ١.

٥١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صيفي الدين عبد المؤمن البغدادي (٧٣٩هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، ط ١٩٩٢م.

٥٢- المزهر في علوم اللغة، للإمام السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة - مصر.

٥٣- معاني القرآن، أبي زكريا يحي بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٤- المعجب، في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.

٥٥- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٥٦- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥٧- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة - مصر، ١٣٦١هـ.

٥٨- المفردات في ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي.

٥٩- موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية العامة، مصر - القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

٦٠- ميزان الاعتدال، في نقد الرجال، الحافظ الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة - بيروت.

٦١- النجوم الزاهرة، في أخبار مصر والقاهرة، لابن تعزي بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر ١٩٢٩م.

٦٢- النشر في القراءات العشر، لإمام أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجوزي (ت ٨٣٣هـ)، تقديم الأستاذ علي محمد الضباع، تخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦٣- نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، المقري التلمساني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، ١٣٦٧هـ.

٦٤- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف - استنابول، ١٩٥٥م.

٦٥- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن خليل بن آبيك الصفدي، اعتناء دوروتيا كرافولسكي، دار النشرات الإسلامية، أسسها هلموت ريتر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، تنفيذ دار الأندلس - بيروت.

٦٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان (٦٠٨- ٦٨١هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٧- وفيات الأعيان، غربال الزمان في وفيات الأعيان، يحي بن أبي بكر بن محمد اليماني (٨١٦-٨٩٣هـ)، صححه محمد ناجي زعبي العمر، إشراف عبد ارحمن بن يحيى الأرياني، دار الخير - دمشق، ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

موضوعات البحث

الموضوع	صفحة
المقدمة	٣
التمهيد	٧
المبحث الأول: عصر القرطبي وبيئته	١١
المطلب الأول: الناحية السياسية	١١
المطلب الثاني: الناحية الاجتماعية	١٥
المطلب الثالث: الناحية العلمية	١٧
المبحث الثاني: حياة الإمام القرطبي	٢١
المطلب الأول: اسمه، لقبه، كنيته، نسبته	٢١
المطلب الثاني: ولادته ونشأته، رحلاته	٢٢
المطلب الثالث: شيوخه، تلاميذه	٢٤
المبحث الثالث: مكانته العلمية وآثاره	٢٨
المطلب الأول: مكانته العلمية	٢٩
المطلب الثاني: آثاره العلمية	٣٠
المبحث الرابع: الجانب اللغوي في تفسير القرطبي	٣٢
المطلب الأول: مصادره اللغوية في تفسيره	٣٢
المطلب الثاني: ذكره المسائل اللغوية مقترنة بالقراءات القرآنية	٣٥
المطلب الثالث: اعتماده على المسائل اللغوية في بيان الأحكام الشرعية	٣٦
المطلب الرابع: استشهاده بالشعر	٣٧
المطلب الخامس: دلالة الألفاظ عند القرطبي	٣٨
المطلب السادس: ألفاظ لغوية غير دلالية	٤١

الخاتمة	٤٦
الفهارس العلمية	٤٨
فهرس الآيات القرآنية	٤٩
فهرس الأشعار	٥٠
فهرس الأعلام	٥١
فهرس الأماكن والبلدان	٥٤
فهرس المصادر والمراجع	٥٦
فهرس الموضوعات	٦٦